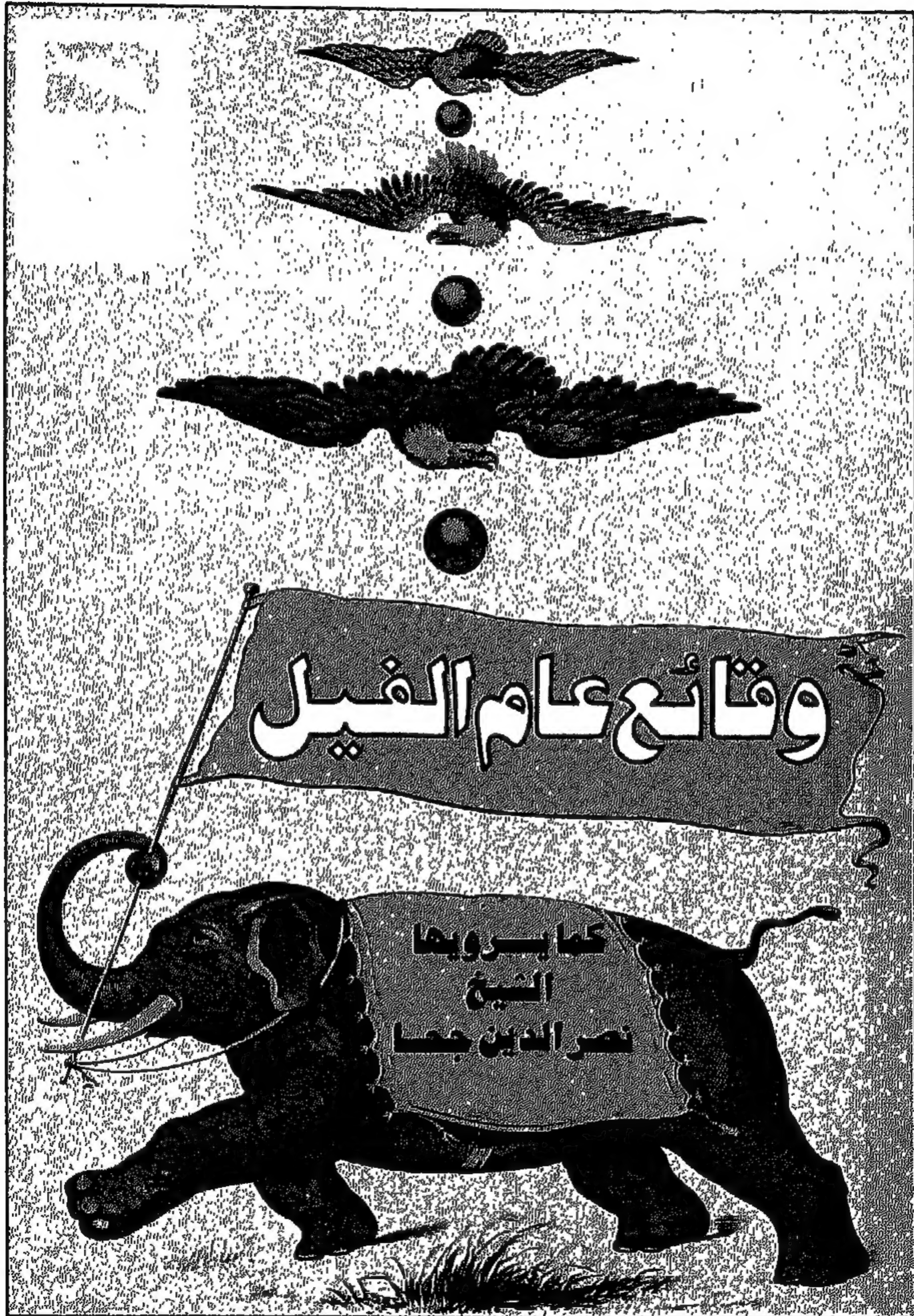


# عبد الفتاح الجمل





**عبد الفتاح الجمل**

# وقائع عام الفيل

**كما يسريها  
الشيخ  
نصر الدين جعما**

**دار الفكر المصطفى  
٤ ميدان الجمهورية  
القاهرة**

رقم الايداع ٧٩/٣٨٦٥

الى ..

محمد كامل القاويى

« جا »





## مقدمة لا تتم

قرأت الكتاب أكثر من مرة ، ولم أقرأه المرات  
الكثيرة لأننى أريد أن أكتب هذه الكلمة ، ولكننى  
قرأته كما تفعل أحيانا عندما تضع رأس الجراموفون  
على بداية جانب من الخيوط الدقيقة السوداء على  
الاسطوانة ، حتى تخرج النغمات التى تعرفها  
وتنتظرها وتحبها . فأننا أحب أن نسمع ما يكتبه  
عبد الفتاح الجمل ، وقراءتى له أقرب الى السماع  
من القراءة ، وهذا أول ما أنصح به القارئ ، فأنت  
لو ضمت شفتيك ، ولم تخرج الكلمات مصاتة  
وأنت تقرأ ، فسيفوتك الكثير من المعانى والانطباعات  
التي يريد ان يصفها الكاتب .

ولكن عليك أن تحترس وأنت تقرأ ، فأنت بحاجة  
الى مهارة كمهارة العازف وهو يلعب هذا الجزء  
الشقى الفكة الحلو من السيمفونى أو السوناتا ،  
وأقصد به « السكيرزو » . ولست أستسلم  
للتشبيه ، ولكنى أحس أن عبد الفتاح يكتب دائما  
فى روح السكيرزو الموسيقية .

نغم حلو ، ولكنة سريع متقطع قصير ، يثب

الى قلبك ، ويثبت ويربت عليك ، فإذا به كالأظفار  
الحادة ، يجرح وقد يسيل دما ، ولكنه على  
أية حال سيتترك أثرا حتى ولو اندمل !

ولست استطيع أن أزعم لنفسي أنني أعرف  
بوضوح لماذا أشبه كتاب « عام الفيل » بأنه حركة  
من قطعة موسيقية ، وكأنما هناك حركات تسبقه  
وتلحقه ، أو لماذا أشعر بحركة السكرزو بالذات ،  
وأخيرا لماذا يذكرني أسلوب الكاتب بيد القط التي  
قد تكون ناعمة كالحرير ، لينية كالوسادة  
المريحة ، وهي دائما تخفى المخبأ الحاد القاطع  
الذي يظهر على حين فجأة ، ويختفى كما ظهر ،  
ليعود اللين والحنان .

ولن أحاول في هذه الكلمة إلا أن أجرب معرفة  
أسباب ذلك ومظاهره . ومثل هذا الاقتراب من كتاب  
وقائع عام الفيل ، هو في نظري أهم ، أو على  
الأقل أكثر صعوبة وإثارة من الحديث عن  
المضمون الفكري للكتاب ، أو عن الآراء السياسية  
والاجتماعية والنفسية التي يقررها الكاتب .

فالمضمون هو كما أعتقد واضح تماما لا لبس فيه ،  
وهو مكرر في كل سطر تقريبا ، وكأنه جملة  
واحدة أو نكتة حادة نافذة ، والآراء أو الأحكام



على وجه أصح ، على تعددها ، لا تفاجئك بتفردھا  
أو بعمقھا ، فالكثير منها متكرر معاد وكأنه  
نواح • ولكنها تفاجئك أساسا بطريقة صياغتها ،  
وبمفاجأة ظهورها أمامك ، وكأنها بديهية واضحة ،  
وكانها منظر مشهود ، وليست رأيا عقليا ،  
عليك أن تتناولہ وأن تصل اليه •

فاذا حاولنا ، رغم ذلك التحدث عن المضمون  
الفكري والآراء ، فاننا سنجد أنفسنا مرة  
أخرى حائرين أمام طريقة التعبير ، وأمام طبيعة  
النغم « المضروب » ، أعني المعزوف ، وأسلوب  
الضرب أكثر مما نجد أنفسنا مترددين أو محيرين  
أمام المعنى والمقصود •

وقد يجد البعض أن مثل هذا الحديث عن  
وضوح المعنى عند عبد الفتاح ، وقرب الرأى  
أو ببساطة ، هو شيء يخالف الانطباع السريع الذى  
يتكون لدى القارئ ، من أن الكتاب صعب أو رمزى •

بل اننى أتصور أن بعضا من القراء سيخطئ  
فى ارتكاب هذا الطريق للفهم ، وأعنى بة طريقة  
التحليل وفق الرموز ، لأن هذه الطريقة قد أصبحت  
أسلوبا عقليا عند الكثير من القراء • وقد أرجو  
أن يوجه عبد الفتاح الجمل بعض جهده فسي

كتاب آخر الى متابعة نشأة هذه « الموضة » ،  
وكيف تكونت لدينا ولدى قرائنا ، حتى أصبح  
بعض الكتاب يكتب استجابة لها ، والكاتب - فيما  
أومن - قادر على لك هذه العقدة بطرق الصدمة  
والمبادة والكشف عن البصلة التي تثير الدموع ،  
وإثبات أن الدموع التي تذرف في طريق الرمزية  
ومحاولة حلها هي دموع زائفة .

أننى أجد نفسى أكتب محاولا أن أقلد أسلوب  
الكاتب ، لا أعنى أننى أقلده ، فأننا فى الحقيقة  
لن نستطيع ذلك أبدا ، وهناك أسباب كثيرة . والسبب  
الواضح والبسيط لذلك ، هو أننى مازلت أحاول  
أن أحلل هذا الأسلوب ، وأن أتبين عناصره ، ولا أظن  
أحدا يستطيع أن يقلده الا بعد أن يسيّر ولو  
قليلا فى مثل هذا التحليل .



يبدأ الكتاب باسمه « وقائع عمام الفيل » ،  
أول ما يتبادر للذهن هو عمام الفيل ، أعنى به  
فيل أبرهه ، وقد يظل القارئ يتصور هذا  
حتى وإن قرأ أن هذه الوقائع تروى عن مولانا الشيخ  
نصر الدين الشهير بجحا ، ولكنه سرعان ما يتبين  
أنه أمام عمام آخر فى قلب غزوة التتار ، وفى  
صحبة أحمد مشاهير أبطالهم تيمور لك الأعرج .

وهذه القفزة فوق القرون بسرعة وبدون خطر ،  
هى احدى خصائص فكر عبد الفتاح الجمل . وقد  
يذكر القارىء الذى قرأ رحلته فى قلب الصحراء  
الغربية المصرية ( كتاب : آمون وطواحين الصمت ) كيف  
كان يفعل ذلك دائماً وبخف السهولة .

فإذا قلبت صفحة العنوان ، فأنت أمام كلمة  
لابن المقفع الذى يكتب - لو تذكرت - بأسلوب  
رمزى بسيط هو أسلوب قصص الحيوان ( كليلية  
ودمنة ) ، ويحكى قصصاً مألوفة مكررة ،  
ولكن بأسلوب يكاد أن يكون معجزاً فى نسجه  
وقوته . وكاتبنا ينظر بطرف عينه الى ابن المقفع ،  
لا ليقلده ، ولكن ليثيره فى نفسك ، وليس لنفيد  
هو بما أثاره ، وبما يضعه ذلك فى روح القارىء من  
ذكريات وأفكار ونغم .

« صاحب السلطان ، كراكب الأسد ، الناس تهابه ،  
وهو لركبه أهيب » . وهذا فى الحقيقة هو مضمون  
وقائع عام الفيل . فإذا أنت أرغمت على ركوب  
الأسد أو على مصاحبة السلطان فلا يفعل المرء  
هذا عادة طواعية ، أو عن رغبة خالصة فى ذلك -  
فأنت تثير مهابة فى غير موضعها عند الناس ، لانهم  
لا يعرفون أنك خائف ترتعد على الظهر أنصعب  
الذى اعتيقلته ، وإنك لا تعرف ماذا قد يحدث

فى كل خطوة من خطوات هذا المركب المهيىب من  
الخارج فقط . انه فى الحقيقة موقف يجب ألا يثير  
المهابة ، بل أن يثير الاحساس العقلى بالخطر  
وبضرورة التجنب . فهل هذا هو الهدف الذى  
يريد الكاتب ، هل هذا هو ما يريد أن يعلمنا  
اياه ، وأن ينصحننا به ؟

هنا تطرا الصعوبة الفريدة للمضمون عند  
الكاتب ، فأنت لا تستطيع أن تقطع بهذا أبدا ،  
ولا تستطيع أن تطمئن - على فهمك للمضمون - الى  
ما يريد الكاتب فعلا من تقريره ومن توضيحه لك .  
هل هو يريد أن يكشف عن أوجه النفاق أمام  
الحاكم التتري والسلطان الظالم ؟

ان حجا أخاص من أى نفاق ، فهو يقرر  
ما يريد تقريره بصراحة موجعة تضحك الظالم  
الطاغى فيزداد ظلما وطمعا ، أو على الأقل  
يزداد طغيانه وظلمه وضوحا . وجحا فى آخر  
الأمر ، رجل لا يوافق بقدر ما يتحاشى ، وهو  
لا يتردد فى كل حال عن أن يؤكد أن حكمه على  
ما يفعل لا يختلف عن حكم الناس ، أى أنه يعترف  
قبل أن يتهمة أحد بأنه يوافق . ليست المسألة  
أذن مسألة نفاق .

هناك ألم فاجع يتخلل الكتاب ، ومرارة تتجاوز مرارة الحكم الخلقى البسيط بالسوء ، وكأنما يريد الكاتب أن يقول أن الارغام الذى يحسه جحا فى تجربته مع تيمور لنك هو جزء من مرارة الوجود ، فهل هذا هو ما يريده الكاتب ؟

انه يدفع بالمرارة الى ما هو أبعد منها أيضا ، فلا يكاد يقررها بكل ما فيها من ألم ووجع ، حتى يندار ليعيظها مؤخرته ، ليقول ان هذا « النهيق المجلجل » الذى يرج الأرض والفضاء ، سينتهى بمجرد حرفين متتالين فى الأبجدية ، هما الطاء والظاء ، وهما حرفان يستهينان اذا اجتمعا بكل مرارة وبكل مضمون ، مهما تعقد أو صعب .

وهكذا نجد أن المضمون لدى الكاتب على بساطته ووضوحه وترفعه عن الرمزية ، ليس مضمونا بسيطا ، بل وليس مضمونا واحدا فقط يمكن صياغته أو الاطمئنان الى معرفته ، انه مضمون متلون متعدد المستويات ، يعطى فى دفعات قصيرة ، وكأنها حقن تسحب الدم من القلب ، وتدفعه فيه على التوالى .

واذا كان هذا وصفا عاما لمضمون الكتاب ، فأنسه فى الحقيقة أقرب الى أن يكون وصفا لأسلوبه . وهذه القربى بين المضمون والأسلوب هى التى تجعل



الكتاب عملا فنيا فريدا وصلبا ، لا يستتظيع  
النقد بسهولة أن « يضرفه » أو أن يفكه إلى أحكام  
أو تفسيرات ، فإن تكون هذه الأحكام أو التفسيرات  
إلا ملاليم ممسوحة لا تشتري شيئا من معنى الكتاب  
أو قيمته .



فلنتقارب ونقترب إذن في وصف الأسلوب -  
المضمون ، مدركين مقدما أن كل ما نحاوله هو مجرد  
ذلك ، أي تقاربه ، وليس فضا أو صياغة لسر  
الكاتب أو لقدرته .

ان هذا السر متجمع متكامل في الدقات الأولى ، وفي  
الكلمات والجمال من أول ما نقرأ أو نسمع .

نبدأ الكتاب بهذه الجملة :

« رأس ضخيم مستطيل يرتفع في الفضاء ،  
ونهيق يهز الأرجاء » . جملة قصيرة من تسع  
كلمات منتهية بنقطة قاطعة لا تستكمل أو تتصل ،  
ولا يأتي بعدها عطف ، أي لا تريد اكتمالا أو اتصالا ،  
ولكنها تفعل الكثير .

الرأس الضخم المستطيل الذي يرتفع يثير  
الرهبة بضخامته ، والغرابية باستطالته ، والتطاج

بارتفاعه ، حتى اذا وصلت الى النهيق ، أصبحت الضخامة والاستطالة منظرا معروفا محسدا ، وليست معانى مجردة ، وأصبح الارتفاع متجها الى خلق الجو المحيط بالراس الذى يصدر منه النهيق ، وليس لارتفاعا بصاحبه ، أو تعبيرا عن الاصعاد بالانفس . ان الذى يصعد هو النهيق الذى « يهز الأرجاء » . وعلى الرغم من أن الأرجاء التى تهتز ، تعطيك الاحساس بالمنظر الريفى الواسع ، الا أنه يرغمك على تذكر اهتزاز الذيل ، ويدفع الابتسامة الى شفئك وأنت تسمع النهيق متعاليا يهز الأرجاء .

هذه البداية الخشنة المنظورة والمسموعة معا ، تبدو متجمدة ، وكأنما لا يمر عليها زمن حتى تأتى الجملة الثانية مباشرة بلا عطف كما أشرت :

« احدى اليمامتين الواقفتين على غصن صفصافة ، لأختها » . وهكذا يتحرك المنظر الخشن العالى الصوت ، الى وداعة متناهية فى يمامتين وغصن صفصافة وحديث هامس بين أختين .

هذه الحركة السريعة المتناقضة بين المشهدين ، خاصة من خصائص الأسلوب فى الكتاب كله ، وهى سمة من سمات تفكير المؤلف ، وطريقة نظرتة

للكون وللأحداث وللأفراد وللمعاني • فالكون عنده  
تجتمع فيه باستمرار وفي كل لحظة ، النبرتان العالية  
والهامسة ، كما تجتمع الخشونة والنعومة ،  
والغلاظة والحنان • وعلى العين التي تنظر فيه ،  
أن تعتاد هذه النقطة ، . أو على وجه أصبح هذا  
التزامن •

لقد كنت أود أن أستمر •• ولكني أحب أن أسمع  
معك •

**بدر الديب**

- « صاحب السلطان كراكب الأسد »
  - الناس تهابه ، وهو لركبه أهيب »
- ابن المقفع





## (١)

رأس ضخم مستطيل يرتفع فى الفضاء ، ونهيق  
يهز الأرجاء •

أحدى اليمامتين الواقفتين على غصن صفصافة ، تقول  
لاختها :

- هذا هو حمار جحا •

- وكيف عرفت ؟

- اسمعى ما يقول •

- انه ينهق وحسب • وهل أنا مثلك منقوعة فى

فقه اللغة ، أحلل وأركب ؟

- جوحا ، جوحا ، جوحا خا خا خا

- آه صحيح انه ينادى صاحبه ، ولكن هكذا

يقول كل حمار •

- من لم يعرف لغة الحمير يا أختاه ، لا يفرق

بين أصوات الحمير •

- وما أصل الكلمة وفصلها عندك اذن ؟

- جحا ( بفتح الجيم ) يجحو جحوا ، أى

خطا يخطو خطوا • فهو « جحا » بمعنى ..

- أبو خطوة •

- تمام • أبو خطوة فى المكان ، بخفة القدم واليد

واللسان • يعنى

- الحرك •

ـ بالضبط . وأبو خطوة فى الزمان ، بخفة العقل  
وحسن التدبير والتبرير ، وسلاسة البلى . يعنى  
ـ اللمض .

ـ عظيم يا خبيرة الفولكلور .  
ـ وطبعاً يفضل المثقف ، أو على الأقل المتعلم .  
ـ كلما علا كعب العلم ، كان أخفى للخطوة ،  
وأعظم للهبوة .  
ـ بقى الحمار ، هل يعنى ما يردد ، أم هو  
حمار حمار ؟

ـ لعل لدى فولكلورك الجواب .  
ـ أغلب الظن أنه يعنى تماماً ، ويصرف النظر .  
إيماننا بفلسفته العريقة الشهيرة بنـ « الأتامالية » .  
وانحيازنا لخط الاستواء ، الذى يتسوى بين  
الجميع فى النهاية . وإثارة لسلامة السلبية  
إلغائرة ، التى لا يخرجها منها بعد لآى الا « السك »  
العظيم .

ت لعل هذا السك الذى يقاد به صحيح تماماً .  
فللحمار اسمان غايبا عليه : « حمار » من حمر  
( بفتح الميم ) بمعنى خلق وسلخ ، وهما مرتبتان  
فى السك والاهانة ، وأسلوبان فى القيادة  
والسياسة . والاسم الثانى « عير » ( بفتح  
فـسكون ) ويطلق على الحمار والوتند ، ويجمع  
بيئهما أن كلا منهما يأخذ على دماغه ، والضارب  
دون المضروب هو الذى يقول : آه .

— فليتولنا الله برحمته الواسعة ، من مغيبة  
غياب العقل ، الذى يسمونه الديمقراطية ، ما دام  
الخصم والحكم اثنين فى واحد .

## (٢)

سئل جنبا :  
— كيف اكتسح تيمور الاعرج البلاد بهذه  
السرعة المذهلة ؟ !  
قال :  
— برجلة العرجاء .

## (٣)

فضيلة الشيخ نصر الدين جالس تحت عمامة ضخمة  
فى حجم القبة ، هى عمامة القضاء ، يأتية رجل  
شاكيا .  
— بيا مولانا ، الثور الأحمر ، وأظنه ثورككم ،  
نطح بقرتنا فى بطنها ، فقتلها . . . . .  
رد عليه القاضى فى عندم مبتلاة - البذاهتنة  
القاطعة

— وما دخل صاحب الثور في الأمر ؟  
ثم ان هذه هوى دم ، لا يطالب بها حيوان .  
— كلا ، اغذرنى يا مولانا ، لقد أخطأت  
في الافادة . بقرتنا هي التي بقرت بطن ثورككم .  
— ايه .. لقد أشكلت المسألة . ناولنى هذا  
الكتاب ذا الجلد الاسود على الرف ، لأنظر فيه .  
ويققع الجو بهوسنا في لون التفتنه ، أقرب  
الى موسيقا الشوبشة (\*) في الأفراح .

#### ( ٤ )

سألوا جحا عن الفيل الذى مسح به تيمور  
لنك البلاد ، قال :  
— الفيل ، له خرطوم طويل ، يأكل الأخضر ،  
ويشرب الأزرق ، ثم يمسح بالأصفر .

---

( \* ) ان يقول قائد الفرقة النحاسية ان يدفع لـ  
النقود : « شوبش فلان » ، فتدق له الموسيقا بتحيةة معروفة ،  
ويظل يكررها على قدر المبلغ المدفوع ، وهو يلوح بـه في  
القبضاء . وأصل الكلمة كما يزعم الفن هو « شوبشاشا » ؟  
الشامية أى من باشا ؟ فيرد باسم الناظر .

سألوا :  
- لا يبقى ولا يذر ؟

قال :  
- ولا صريح ابن يومين •

### ( ٥ )

شخير أجش طويل • متقطع وموقع •  
الشيخ نصر الدين الشهير بجحا ، متمد على  
فراشه ، مستغرق في النوم ، يتقلب فيصطدم  
بأمراته الى جواره • يرفضها بركبته ، فتدعور  
وترتطم بالأرض • ترقع بالصوت وتنخرط في بكاء  
طويل ، يتقطع ويتنغم • يندفع شخير الشيخ  
كالقرون الناطحة •

يتداخلان ويفترقان ، ثم يهضيان مع  
نقرزان لفاقع ، وطبل عجوز أرعن في إعلان الشوارع  
الشعبية •

### ( ٦ )

سلاح المنشار الضخم ، وأسنانة التي تشبه



أسنان كبير (١) الساقية ، طالع نازل ، يشق جذع  
جميزة مسجى فوق الحمير (٢) الأربعة الخشبية  
التي ترفعه على أكتافها كالنعش .

الجذع يحشرج والمنشار يتوغل ، فى شيخير  
الذبيحة الخائر .

من فوق ، قدمان مفرطتان ، بكعب يابس مقدد  
فى لون الجذع وشكل لحائه .

ومن تحت طاقية بيضاء شاهقة مزهجرة ،  
تستقر شعرا! أكرت حادا كالأسلاك الشائكة ،  
وقد لبدت عليه حبات النشارة ، كفصوص ملح  
وسخ ، أو ندى عكر .

المنشار طالع نازل ، وصوت مزيت سالك ينحدر  
من فوق . يتقلقل قبل أن يهدم فى حجر أذن  
مفرطحة متدلّية مثل لية الخروف .

— خد عندك يا معلمى آخر نوادر جحا .

— هات يا أم قويق \* الخراب .

— جحا بعد ما رفض امرأته ، ووقعها من السرير ،  
وكسر لها سنة ، غضبت على بيت أبوها . عمنّا

—————

(١) الترس الكبير المستلقى ، الذى يديره الثور أول ما يدير ،  
ليدير بدوره « الصغير » وهو الترس القائم المتصق بالطنبوشة ،  
ليديرها حتى تخرج الماء .

(٢) القوائم .

(\*) هى البومنة...

جحا لما احتاس فى عيشته ، قام يصالحها • وراح  
واخذ أبوها على مشمه : أنا لا أطلب منك غير  
النصفة • أنا واحد معى زوجتى المرحومة • نبقى  
كام ؟

- اتنين

- وبنتك ، بقينا كام ؟

- ثلاثة

- وزوجها السابق

فيرد المعلم الفشار

- أربعة •

وأظن فرشة واحدة لراجل درويش مثلى ، لا تتسع  
لأربعة أشخاص معا • عشان كده تدعورت •  
ما ذنبى أنا ؟ !

وتتدلع موسيقا الشوبشة •

## (٧)

كان راكباً حماره ، وكلما ضادف الحمار زبله  
وقف يشمها ، ويمسك بشفتيه العليا أريجهما فى  
أنفه مستغرقاً متسلطناً على عادة الحمير •

فلم يكن من جحنا إلا أن تنزل ، وجمع شيئاً  
من الزبل ، جعله فى مخلاة الحمار وعلقها برأسه •

وٹضایق الحمار کثیرا ، وحاوّل جامدا خلّع  
المخلّاة عن رأسه • قال له ججا :  
نـ عجبا ، ماذا أصابك ؟ أنت أعجبك الزبيل ،  
وأنسا ملأت لك منه ؟ !

### (۸۸)

جاءت الوفود ججا مستجیرین • قالوا :  
- بعد أن استوى تيمور لنك على العرش ، أرسل  
يستدعى العلماء والمستفیرین وذوى الرأى ، ويسألهم :  
« هل أنا عادل ، أم ظالم » ؟ فمن قال بالعدل  
ذبّحه ، ومن قال بالظلم ذبّحه ومن قال بالعدل  
والظلم معا ذبّحه • لن ينقذنا من هذا المجنون غيرك •  
- لیکن فی علمکم أنى ان استجبت لکم ،  
قامرت مع هذا السفاح المجنون برأسى •  
- نحن نعلم ذلك يا مولانا ، ولكن لا أحد فى  
البلاد ، أوتى ما أوتيت من جواب سديد ، وبديهة  
حاضرة • لا أحد يجيد اللعب على الشناكل غيرك •  
- يا أسيادنا البعدا دى شناكل السلطان  
- ودى لعبة ججا المفضلة •  
- يا خلق هو دى لعبة الموت •  
- والحياة على البحرى يا سيد العارفين •  
أزیز مئات المصافیر على الدوحة ساعة الغروب •

(٩)

ـ يا جحا الحمى جياالك  
ـ فاضى واترعى لها  
شنشنة طار .

(١٠)

وبكل حرص وحيطة ، جاء بخماره الى مقبر  
السلطان . وفى ركن ملح طبلا كبيرا ، ربط  
فيه خماره . وفى الحال مثل بين يدي السلطان  
الدموى . سأل السلطان  
ـ هل أنا عادل أم ظالم ؟  
ـ أنت يا مولاي ، لست ملكا عادلا ، ولا ظالما .  
فالظالمون هم نحن ، وما أنت الا سيف العدل الذى  
سلطه الله على الظالمين .  
ـ عفارم .  
نهيق حمار جحا يرج المكان .

\*\*\*

بالخارج شد الخمار برسنة الطبل الكبير ، فأنقلب  
على زلطة وأحدث دويبا ، جفلس له الحمار ،

وأخذ يجرجره • وكلما تخرج ازداد دويه ، وازداد  
الحمار خوفاً وركضاً •  
وجفلت البغال ، وجفلت الخيول ، وجفلت الأفيال ،  
وقامت القيامة •



وبالحمار دخلوا إلى السلطان

- هذا هو الفاعل •
- رأسه ورأس صاحبه على صينية في الحال •

قال له جحا على الفور

- ولماذا أحرم من رؤية هذا المشهد الفريد يا مولاي ؟
- ومن خرمك ؟
- أنت يا مولاي •
- اجلس لتري ما تخمل الصينية •
- أهو أمر سلطاني لا نقض فيه ؟
- نعم •
- اذن لن تأتي الصينية •
- لقد أمرت •
- وبأمرك يا مولاي لن تأتي •
- ( مقطباً )

- آخز أوامرك يا مولاي ألا أتفرج على رأسي •  
أنا صاحب الحمار • والأمر الأخير في كل  
شريعة يلغى الأول • بأمرك يا مولانا الذي



لا تجرؤ قوة فى الأرض على مخالفته وعصيانه ، سوف  
أخرج برأسى فوق عنقى وبرأس حمارى •  
- رأسك نجا اليوم مرتين • أنت من اليوم تدعى  
بلا موعد • عفارم •  
نهيق مجلجل متواصل •

## ( ١١ )

جحا عند مزين قمىء يخلق ذقنه ، والموسى انى  
خده • وكلما حرك المزين الموسى جرحه ، ووضع  
قطننا •  
جحا ينهض منصرفا •  
- اصبر حتى ننتهى •  
- كفاك ، فقد زرعت نصف ذقنى قطننا ، وأريد  
أن أزرع الآخر كتانا •

## ( ١٢ )

مجلس قيمور ، واحدهم يدخل ساحبا رسنا  
من فضة فى آخره حمار خساوى صغير محندق •  
وينحل سهم الصمت على المجلس • ويفلت صوت •  
- حمارى يا حمار ! ؟

ثم أخـر  
- خيبك الله من خمار !

وصمت يقطعه صاحب الحمار  
- مولاي ، أنت تملك قطعان الفيلة العظيمة ،  
وانجب الخيـول ، وأقوى البغال • ولكن  
هذا حصاوى صغير أمرد • فكبرت ربما راق  
لمولانا أن يقتنى هذا المخلوق الصغير الوديع •  
هل يفضل مولاي ويقبل هذه الهدية الصغيرة ؟

وينظر تيمور مليا ، ثم يشرق وجهه بالبهجة •  
وكان أسبق المتحدثين ، من سنخر من الحمار  
وصاحبه •  
- أما عليه جوز عيون ، فشر الغزال • كحل  
رباننى • دول حينطقم • شوف الكعب ، الله ،  
داكعبه محنى • الأش الديل ، داشـعره مسبسب •  
شوف الجمال ، شوف الدلال ، شوف الغندره •

- بالتأكيد هذا حفيد الحمار الذى ركبه سيدنا  
عمر فى الشام ، وحفيد حفيد الحمار الذى ركبه  
سيدنا عيسى وأمه من الشام الى مصر •

وجاء الدور على جحا  
- أرى أن هذا المخلوق اللئيم يبشر بالكثير ، وأملنى  
أنه ربما يتعلم القراءة •

قال السلطان

- اذا علمته شيئاً من ذلك ، فانى أفيض عليك  
بالعطايا والنعيم . واذا لم تقدر ، أطرت عنقك  
جزاء النطق بالكذب فى حضرتنا .

- أمهلنى يا مولاي ثلاثة أشهر . وامنحنى  
نفقات كافية .

أزيز مئات العسافير على الدوحة ساعة الغروب .

(١٣)

سئل جحا

- اذا مشى الرجل فى جنازة ، هل يمشى ورائها  
أم أمامها ؟  
- لا تكن فى التابوت ، وامش حيث شئت .

(١٤)

ذهب جحا مع رفيق يصطادان الثعالب ، فرأيا  
ثعلباً كبيراً يغطية فرو عظيم ، وأخذاً يطاردانه  
حتى دخل جحره . فلحقه الرفيق ، وأدخل رأسه

وراءه وانتظر الشيخ مدة فلم ير الرجل تحرك ،  
فسحبه ، فراه من غير رأس .

وفكر جحا واستغرق في التفكير قليلا ، ثم  
أسرع إلى البلدة إلى دار رفيقه يسأل زوجته  
- عندما خرج زوجك صباحا ، هل كان رأسه معه  
أم لا ؟

### ( ١٥ )

بعد المدة المضروبة ، دخل جحا خيمة  
السلطان آخذا برأس الحمار ممسكا ، ثم رفع  
يده ، فأتجه الحمار رأسا إلى المائدة الصغيرة  
التي تتوسط القاعة ، وإلى الكتاب الكبير الذي  
استلقى فوقها . . مد بوزه ، وبلسانه أخذ يقلب  
صفحاته . ثم يترك الصفحات ناظرا صنوب  
الشيخ نصر الدين ، ثم ينهق في أسى . .  
وطار تيمور بالفرحة . وسأله .  
- وكيف علمته ؟

- اشتريت مائة رق من غزال من أجسن أنواعه ،  
وسلمتها إلى المجلد ، فجعل منها هذا الكتاب الذي  
يليق بضخامة رأس الحمار . . وكنت أجيئه وأرشي

الشعير بين أوراق الجلد ، وأقلب له صفحاته •  
علمه الجوع أن يلتقط حبات الشعير ، وأن يقلب  
الصفحات ويلتقط • وأحياناً يغلب عليه طبع  
الحمير ، فأعيد الدرس ، الى أن اتقنسه •  
وكنّت أحياناً لا أضع الشعير بين الأوراق ، فكان يقلبها  
دون أن تجذ شيئاً ، فينهق كما رأيت •

وقال نجنا لنفسه : حيا الله الجوع الكافر •  
المعلم الأول •

قال السلطان

— عفارم ، أنت قرداتي •

— ببل أنا يا مولانا خماراتي •

وخرج نجنا محملاً بالهدايا ، وغراب من فوقه  
ينفق • تطلع الية ثم قال :

— وعملتها يا غراب البين ؟ ولكن دا بعدك • ده  
يا حبيبي عرق جبيتي •

ونفق ثانية

— يا حبيبي عيب ، دانا بالعب بالبيضة والحجر •

وثالثة

— قل موتوا بغيظكم •

ثم لنفسه : مآذاهية الاتيجي الطوبة في المعطوبة •  
للغراب

— والبلا أقولك : حقتك على •

لنفسه : وش النجس ده يعملها •

للغيب

— ولا تزعمل ، أنا حاشوذك بعثة دين صابونه ،  
تحلف بها العمر • يا لله يا عم زقطط ، وليمة جيت  
لك من السما •

## (١٦)

— منذ برهة ، رأيت فى الطريق يا جحا ، دجاجة  
رومية منحشوة بالزبيب والصنوبر ، واثخين ذاهبين بها •

— وما يعنينى ؟ !

— ذاهبين بها اليك •

— وما يعنيك ؟ !

## (١٧)

لماذا تاكل بأصابعك الخمس أمام الناس يا جحا ؟  
— لأنسه ليس لى ست •

## (١٨)

قام الشيخ نصر الدين واعظا ، فقال :  
« أيها المسلمون ، احمدا الله تعالى واذكروا فضله ،  
أن خلق الأفيال بلا أجنحة ، فلو أن الأفيال طارت ،  
لهبطت على سطوح بيوتكم ، فخرت فوق رؤوسكم » .

## (١٩)

دقات طاحونة المركز شمال الغرفة • تختفى  
وتعلو وتهبط وتتلون بحسب تداعي الموقف •  
جحا متربع على السرير يطيل النظر الى عسكرى  
شباك السرير دون أن يراه • وابنه كماشة راكب قاعدة  
الشباك ، واحدى رجلية فى سماء الشارع والأخرى  
فى الغرفة • وكأنما يمتطى حمارا عاليا مخصيا ،  
وخيزرائته الرفيعة المسوعة فى يده •  
- أبى ، ما رأيك فى تيمورك الأعرج ؟  
- شايل الدنيا فوق رجله العارجة •  
- لماذا تخلت عن فلسفتك التى تأكل بها عيشك ،  
ولم تقل للأعرج أنت أعرج فى عينه ؟  
- للضرورة أحكام يا ولدى أو أتريد أن أيتمك ؟  
- تيتمنى ، أم تفقد رأسك ؟  
- يا كماشة ، اتبرك هذا المسمار العائلى ، لأنه  
يعسور :

( م - ٢ هام الفيل )

— لماذا تقول للسفاح الأعظم « أنت سيف العدل » ؟

— حتى أوقف نزيف الرقاب .

— كيف تقول لظالم الظلمة أننا نحن الظالمون ؟ !

— بحكمة كلام .

يدخل صوت الطاحونة خافتا .

— بحكمة كلام هي التي تقنن للظالم ظلمه ،

وتغريه بالتمادي فيه . كان السفاح يقتل عفو

الخاطر ، فأصبح القتل بعد « الحكمة » صوت

السماء في أذنيه .

ترتفع الدقات حادة .

— يا كماشة يا ولدي ، بحبها حبتين ، الحياة

لا تحمل على الأكتاف ، الحياة مطية تركب . يا بني

اركب معنا ولا تكن مع الجاهلين (\*) . اركب

الموجة يا كماشة ، طاوعني قبل أن تغرقك ،

لا تكن خنفساء ضد التيار . الحياة هي أنا ،

هي الأنواء .

— بل هي أنا وأنت وهم . هي الجموع ثم

الجميع .

— هذه هي الحياة المسطورة في القراطيس

التي تبيح اللب . ما الفلسفة إلا رفاهية يا كماشة ،

ان شبعوا غنوا وتفلسفوا . آدمي ، أما آكل

---

(\*) الجهل هنا كما فسر الشيخ نصر بعدها ، ضد الحلم

وليس العلم .



أو مأكول • بت غالباً يا كماشة ، الحياة صراع  
الكائنات ، وليست صراع الطبقات كما تقول  
مدارس الفرنجة المستجابة التي خربت رأسك ،  
وجعات كماشتك عمالة على بطالة •

— اشمعنى مستجليات الجسم دحه ومستجابات  
العقل كخه ، لماذا هذه الفرقة بين الجسم والعقل  
مع أنهما لا يفترقان إلا بالموت ، ورافض مستجابات  
العقل هو المقبل على مستجليات الجسم ؟ !

— لأن رافض مستجليات الجسم هو المقبل  
على مستجليات العقل • دقة بدقة يا صاحبي •  
أنت ترى الجنة فى العقل ، وأنا أراها فى  
الجسم ، والجسم اناء من خزف خيامى ، يضم  
سائل العقل الهلامى •

**تدخل دقات الطاحونة مرسعة •**

— وما رأيك فيمن يقبل على الاثنين معا ؟  
— هؤلاء هم التجار ، وأخطرهم من انتدب فى فرع  
العقل • صناعتهم الكلام بالكيله والويبة (\*) •  
ليس لهم سجل تجارى • وأخطر هذا الخطير  
من عمل مداحا يحمل الرق على باب السلطان • أو  
طبالاً أو زماراً يلحن ويغنى حسب الاستعداد  
الفطري • ومنهم ركاب الآلات من الكتبة والباشكتبة ،  
يوسعون السكك للسلطان بما يدبجون ، ويبررون

---

(\*) مكيال ساعته كيلتان ونصف الكيلة •

لما يقف فى الزور من كلامه ، ويزخرفون له الأبهة •  
— بالونة منفوخة على الفاضى •  
— الا أنهم ينحبس دمهم ، ويبانون سراويلهم كمدا •  
يحدث كثيرا أن يمشى السلطان فى سكة ، وهم  
من بعيد أمامه يطلقون النفير • ثم لأمر  
ما طارئ ، يغير السلطان من طريقه ، وإذا بالمساكين  
الذين يصعبون على الكافر ، هناك فى شـظف  
المؤخرة •

— أنت أبى خير سلطانى ، تتحدث من أم  
رأس هذه الأنواع الدنيئة من البشر •  
— يا كماشة لا تلق القافورات على التجار ، لأن  
ذلك يوسخ ثيابى • والتجار اليوم هم  
البلاد • لم يبق أحد ينتج ما يتاجر به التجار •  
والصفوة منهم اتجهت الى الأعراض والمبادى ، فجعلت  
منها مهنة المهن التى ترخ الدنانير •  
فحدو أدوات ، ويصنعى بسك سمعة  
— جراد شره •  
وعلى الدقسة

— نهazon • قفازون • ضرابون كل الأوتار •  
الثور البخارى يعمل يوما فى طحين الناس ، وبقية  
الأيام فى طحينهم •  
— يا أبى لقد أوتيت العقل والحكمة والرؤية  
النافذة • الى متى تظل تمشى على كل الحبال ،  
وتضرب كل الأوتار ؟ ! لماذا أنجيت رقبتك باستباحة

رقاب الناس فى المذابح المقدسة الآتية ؟ !  
- يا ولدى ، لقد اختارنى الناس لترويض  
السلطان ، والمروض ان غفلت عينه لحظة ، فقد  
حياته • أنا أعمل فى سيرك السلطان • شهر زاد  
فى حضرة شهريار •

#### الدقات المحمومة

- أنا يا ولدى محكوم على بالاعدام ، كل  
يوم على أن ألعب على حبل جديد يرجى ،  
تنفيذ الحكم • واللعبة ، قاسية ، مسنونة ، ملغمة  
ومتعطشة •

- وما زنقك على هذا المر ؟

- الأمر • كتب على أن أغمس لقمتى بيدي من  
فم النمر • شف يا ولدى اما أن تكتسب المجد بعد  
موتك ، وهذه مسألة غير مضمونة العواقب ، لأن  
التاريخ اليوم موش فاضى لك • الموضة أن يشحطه  
السلطان معه ، وعين على لآلىء كلامه المنشور والمأثور ،  
والعين الأخرى على ريشة التاريخ • أما الجغرافيا  
والأرض والبحر ، التى تجلب التاريخ طائعا ،  
فقد راحت فى الرجلين • أتعرف عمك أبو المجد  
يا ولدى ؟

#### بائع البوظة ؟

- انه أبو المجد بحق وحقيق • أخذها من قصيرها  
وسمى بوظته الواصلة الموصلة « المجد » وهو أبوها  
« أبو المجد » • لم يقف للتاريخ فى طوابير

الانتظار الطويلة العريضة • التاريخ موش فاضى  
لك أنت ومجدك • الأصح يا ولدى أن تكسب المال  
فى حياتك • ساعتها يتمرغ المجد فى تراب أقدامك •  
- وبعد الموت ؟

- عصفور فى اليد يا ولدى أضمن • لا تقاوح ،  
ولا تصادغ ، وبلاش ثبات •  
- أبى أنت من مدرسة الدنيا المزفلة •  
- خطئى فى حياتى أنتى سميتك كماشة بدل  
قرموط •

وتدخل امرأة جحا

- وهو فى القرموط ده ؟ دا الواحد بيتنشق على  
صنية قراميط •  
وتتلفت مشمشمة

حاكم انتوكده يا رجالة الزمان ده ، ما حيلتكوش  
غير الغلبة • فشر النسوان •  
- بس يا قطة • انتى ما تجيش الا على الزفاره ؟  
- عشان كده جيت لك •  
دقات الطاحونة مسرعة مغرشة •

( ٢٠ )

سنا تيمور جحا

- الى متى يلد الناس ويموتون ؟

- الى أن تمتلئ النار .
- والجنسة ؟
- غرف مفروشة تسليم المفتاح ، اكراميات للموعودين .

## ( ٢١ )

الأفيال تذرع الساحة بخطى حرة وسريعة  
وحينما يصل الواحد منها الى الحافة ، يرفع  
خرطومها ويديه الى أعلى في شريق طويل رشيق .  
ثم يهبط على الأرض وحدها ، تمس الأرض في  
خفة راقصة البالية حتى لا تكاد تشعر بها الأرض ،  
ثم يتبعها اليمنى مع الخرطوم ، يضرب بها  
الأرض في اتجاه اليمين ، ليستدير ويستأنف  
الدورة .  
الساحة أشبه بصالة ألعاب ضخمة ، وكل  
واحد عاكف على تمرينه الخاص ، دون أن يصطدم  
بعالم غيره .

## ( ٢٢ )

في داخل خيمة الملك يصدر الساحة ، يجلس  
تيمور ، والحاشية من حوله .

- يدخل جحاً قائلاً فى عجلة  
 - الأفيال يا ملك الزمان  
 ... -
- الافئبال قلقة يا ملك الزمان •  
 ... -
- الافئبال عندها توتر عصبى •  
 ... -
- الافئبال فى حاجة الى اجازة واسترخاء •  
 يتطلع ، فىرى الجو مكهربا •  
 يخفت صوته ويستطيل ويستبين وهو يشم  
 رائحة الخطر •
- الظاهر يا مولاي ، أن القلق والتوتر العصبى ،  
 عندى أنا •  
 ... -
- عندى أنا وليس الأفئبال لا سمح الله •  
 ... -
- كل واحد يرى الدنيا بعين نفسه •  
 ... -
- عيني القلقة المتوترة ، ظنت الأفئبال هى القلقة •  
 ... -
- أنا يا مولاي ، دون أحد سواى ، الذى فى  
 حاجة الى اجازة • اسمح لى بالانصراف •
- وما رأيك يا شيخ نصر الدين ، أننى سأفضل  
 عليك ، وأمنحك اجازة أبدية •

وثرمش عينا جحنا فرددا

— أبدية !

ويتماسك وينبسط قائلا :

— لى وصية ، أرجو أن يتفضل مولاي ويتعطف  
ويأمر بتنفيذها .

— . . .

— أن أدفن يا مولاي فى قبر قديم

يمط الملك شفقيه • يقول جحا فى عقل باله :  
« هناك شكة أمل » ويستأنف

— حتى اذا ما جاعنى ملكا الموت : منكسر  
ونكير ليسألانى ، أجيبهما أنى قديم العهد هنا  
وأنى سئلت من قبل • ومتى نظرا الى قبرى ،  
رأيا فيه مصداق قولى ، فيتركانى وشائى ، وأنجو  
من المزرنة •

— لك ما طلبت •

واصفر جحا واكفهر •

— فى الحقيقة يا مولاي ، أنا ما قصدت الا أن  
أفيا لكم الجبارة ، قلقة الى القتال ، متوترة الى  
الدمار ، تواقفة الى نشر الخراب •

ويختلس نظرة الى تيمور ، فيلمح فبرة ارتياح  
يختلج بها وجهه • فيوغل

— حتى تدين لك الدنيا والمدانى ، ويصبح  
صوتك هو الأوحى ، يرن فتودده المشارق والمغارب •  
ونظرة أخرى تقول له فى عقل باله : « أنا

الآن في بر الأمان • يا مهون ، أسسه سنينة ،  
على أن أهرش بلاطه قلب هذا السنفاج ، حتى  
يرق للنبي • ويلقى بهذه الفشرة •

— في الحقيقة يا مولاي ، أنا اليوم ما ماث بين  
أيديكم ، الا لأوصل صوت القرية الى مسامع  
جنابكم • اعترافا بفضل أياديكم البيضاء عليها ،  
وتعبيرا عن ولائها لأعتابكم • يسعدنا ويثلج  
قلوبها ، أن تستضيف فيلا من أفيالكم العظيمة ،  
يرعى في حقولها ، في اثناء الاجازة التي طلبتها لها •  
والنظرة الثالثة الى وجه السلطان ، يقول لعقل  
باله (( احسن كثير ، احنا كنا فين مع هذا السفاح  
الدهوى أبو عقل مقطوش )) !!

ويأتى على نهاية الفشرة العظمى ، بينها صياح  
بومة وعواء ذئب يتداولان بالخارج •  
— هل تقبل أعتاب مولانا ، أن تولى القرى  
في البلاد الخاضعة كلها ، هذا الشرف العظيم ؟  
ويعوى الذئب •

— سنفضل على القبرى كلها ونوليها هذا الشرف •  
اجلس •

ويخاطب جحا عقل باله وهو يجلس ، وصياح  
البومة ينساب بالخارج : « دلوقتي بقى يا فتك ،  
افرد قلو عك وافرش وخذ راحتك • لقد غار  
عزارثيل » •





يقول تيمور وهو يسدد النظر الى جحا  
- تعلم أن الخلفاء ، كان لكل منهم لقب يختاره  
لنفسه بعد أن يتولى الحكم ، مثل « المتوكّل  
على الله » و « المعتصم بالله » و « المستنصر بالله » .  
لو أردت يا شيخ نصر الدين ، أن أختار لنفسى  
لقباً ، فما يكون ؟

- « نعوذ بالله » يا مولانا . مولانا « نعوذ بالله » .

- عفارم .

ومن الخارج يأتى صوت واحد من ذوب الضباح  
والعواء معا ثم يتداخل صوت تيمور لك  
- عفارم .

- يا حضرة الشيخ ، ما يكون نصيبنا يوم  
القيامة ؟ هل يكون مقامنا فى صدر الجنة ،  
أم فى عين النار ؟

- ولماذا يشغل قلب جلالتك بهذه المسألة ،  
ويشتغل بالوساوس والظنون ، والمسألة واضحة  
كالشمس ؟ ! لا يكن عند عظمتكم ريب ، بأن حضرتكم  
الجنكيزية ، وهولاكو اللوكية ، متى أتممت أنفاس  
الحياة المحدودة ، تأخذ يا مولانا « نعوذ بالله »  
بمسبيل جهنم بالطبع ، وتجلس على التحقيق فى عين  
النار وصدورها ، مع أمثال جلالتك من الملوك ،  
كفرعون والنمرود وذى القرنين وجنكيز ومن ما ثلكم ،  
بكتل وقار واحترام .

ويدخل صوت الطبلة التى تسبب الوستة ،  
وتلعب الحاجب .

## ( ٢٣ )

تخلق الصوت على أسنان المنشار العريضة  
المتحركة ، وانزلق منشطرا نصفين الى صدني  
الأذنين .

- رقبة جحا قعدت تقهشك امبارح على  
كف عفريت .

ورد المعلم من تحت

- ابن جنيه . قرد مسلسل . ده بسبعة ارواح .  
- بسلامته اشترى رقبة من السلطان ، ومن جيب  
غيره . مد ايده في جيوب الفلاحين وسابها  
تصفر . قرط لهم الزرع الأخضر اللي حياتهم . الأفيال  
حتمسح وتبلاط .

- عقد البيع منصـوص فيه الزرع الاخضر ،  
والا اللون الأخضر يا أخضر العين ؟

ويوقف المنشار محققا فيه بعينه الخضراوين  
- وطى صوتك يا معلم . دالو عرف يعملها .  
نعوذ بالله يعملها من باب التسالى . وأنا ذنبى  
ايه ؟ !

- ذنبك ؟ وهي السلطنة تدور على البسبب ؟  
أما عبيط ! . طب دالو كان فيه سبب ، ما كانش  
حد غلب . كان بقى هو ده العبد والمالك والسباطان ،  
اللي بترويه الحداويت .

- يبقى مفيش غير راس جحا .
- راس جحا النهارده ولا راس فجاه .
- دى اللعبة كبيرة قوى ، هو السلطان ده يعنى مالوش كبير فوق السما ؟ !
- سمة مين يا زبله . دى السلطانه تدور أجعص دماغ ، السلطان على العرش مستوى ومستمنح ، لا يخاف أرض ولا يختشى من سما . واللى يختشى منهم ، بعد ما يجز الراس ، يكرمها بمقابله على صفيه فضه ويعمل معاها سين وجيم . وده هو الامام العادل . اللعبة النهارده ماسكة فى الراس الكبيرة الخضرا يا بوعيون خضرا .
- امسك المنشار يا معلمى ، وخلينا فى فى شغلنا أفيد سبنا فى حالنا . احنا مالنا . دى موش لعبتنا . وتروح فين يا زعلوك بين الملوك ؟ اربنا يديم علينا المستحد ونقطة الزيت .
- آه يا خانوتى شجر .
- ويهمضى المنشار فى ثورته الطويلة الخشنة وهو يقرش قلب الجذع .

( ٢٤ )

جحا فى الغروب ، يقلع شجرة ، ويدخل بهنبا الى بيته . امراته .

— أنت جرى لعقلك حاجة ؟ تزرعها الصبح ، وتقلعها  
المغرب ؟ !

— يا امرأتى يا عزيزتى ، الدمم خربت ، والبلد  
أيدها طولت ، وعلى كل انسان من باب الحيطه ،  
أن يجعل ماله تحت رأسه ، من يعلم ما يحدث ؟ !

## ( ٢٥ )

### سئل جحا

— هل يولد لرجل عمره مائة سنة ولد ؟  
— بالتأكيد ، اذا كان له جار عمره عشرون .

## ( ٢٦ )

قال جحا لامراته وهو يناجى القمر الموهوم ،  
وعينه على الشباك المفتوح

— يا بدر يا قمر ، جة وقتك • ماك يزورك غدا •  
قوم ادبح الوزه ، وطقق الصوابع الناعمة ، اللسى  
ربك مخبى فيهم مستقبلا • ما عاد لكش حجة •  
قوم نور ولعلع فى سماك السابعة •  
— وكلن الكلام الحلو ده مخبييه جوا لسانك ؟ !

ما انتاش خايف عليه ليحمض والا يعت ، والا يقرضه  
الفار ؟ آه من جنس الرجال !

— ما تنسناش يا قمر ، ان كل وقت وله أدان ، وان انا  
وانت ، زى حبة الترمس ، فلتتين جوا غطا ، انت  
فلقه ، وأنا فلقه .

— يا شيخ ، بلا فلقه . دا عمر القرد ما يبقى  
غزال .

— يا غزال البرية ، يا شق القمر ، جايلك ملك ، غدا  
على الغدا .

— يا ريت يا شيخ تعزم لنا كل يوم ملك .  
— ان لقينا اليوم ، ما نلاقيش الملك ، وان لقينا  
الملك ، ما نلاقيش العزومة ، وان لقينا اليوم والعزومة  
والملك ، ما نلاقيكش انت يا ملك الملوك ، يا سلطان  
زمانك يا ملك .

( ٢٧ )

سنئل جحنا

— اذا دخل القمر الجديد . فاين يكون القديم ؟  
— انهم يقطعونه ويصنعونه نجوما : أو يدخرونه  
للشقاء ليعملوا منه البرق .

## ( ٢٨ )

وفى الموعد أتى وحده • هبط كالصقر الأخرس ،  
خطف الوزّة المحشوة ، وطار ، وخلفه حبات  
عيون امرأته •

وبعد أن قطع شوطا ، نظر إلى الوزّة وقال بأسى :  
- اياك يطمر • ناس تربى • وناس تأكل •  
على الله تصطادى يا سنارة يا - مطعمة • يا حسنة  
يا اللى حتجيبى عشر أمثالك •  
ورآه أحد المارة • سألته

- انت بتكلم مين يا سيدنا ؟ !  
- باوعى الست الهانم اللى رايحة تقابل السلطان •  
- لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم اطف بعبادك  
يارب ، الناس ماشية تكلم نفسها •  
وقطع شوطا • وزعقت عليه عصافير بطنه •  
- آه ، كله الا كده ، ده موش وارد ، أنا فى عرضكم ،  
دى الجايات أكثر وأحسن • يا عصافيرى ، اعملوا  
معروف سيبونى فى حالى ، وما تلخبطوليش غزلى •  
ومرة أخرى تزعق العصافير فى سرسعة  
مقصلة ، وتمتد يده تملخ الورك •  
ولما رأى السلطان نعوذ بالله الوزّة ناقصة وركها ،  
سأل جحا

- وأين رجلها ؟

قال لقيمور الأعرج

• أصل وز الناحية كله أعرج ، أقصص يا مولانا  
برجل واحدة • وإذا لم تكن تصدقنى ، فانظر  
الى الوز على ضفة البحيرة هناك •

كان الوز واقفا يتشمس على ساق واحدة ،  
ورأسه فى صدره كما هى عادته •

وتظاهر السلطان بالاعتناع ، وأصدر أمره  
خفية الى الموسيقا السلطانية بأن تقترب من البحيرة •  
ودقت الطبول ، ففرع الوز وتفرق فى جلبه •

والتفت تيمور الى جحا وقال بغلظة •  
- تكذب على يا خسيس ؟ ! ها هو الوز يمشى على  
اثنين • رجلك فى مقابل هذه الرجل •  
- ولكنك يا مولاي نسيت أن الرعب يأتى  
بالمعجزات • لو أن الرعب استولى عليك مرة  
يا مولاي ، لمشييت على أربع •

يشق الفضااء اصحاء صياح الوز الفرع •  
ومن الصباح الباكر مضى الناس يصحبون  
الواقعة فى لهفة وسريسة أنكى من أى علن :  
« الأعرج يمشى على ثلاث ، لا أربع »  
وكلما قابل أحد جحا سأل  
- وجبت الرابعة منين يا جحا ؟ ذا الأعرجن بقلاته  
بس يا جحا !  
راحت عليك يا جحا يا ورك الوزه •



## ( ٢٩ )

جحا يصلى رافعا رجليه اليسرى عن الأرض ، والناس  
من حوله يتفرجون \* . وبعد أن ختم صلاته ،  
قال لهم :

— كيف أضاع قدمي اليسرى على الأرض ، وهى  
غير متوضئة ؟ اذا كان الماء لم يكف ؟ ! اياه  
.. بضله (\*) ؟ !

## ( ٣٠ )

سمع الشيخ نصر الدين بأن تيمور لذك رأى فى  
منامه رجلا أزعبه فقتله ، فأسرع الى أشياءه  
يجمعها ، وفر الى بلد آخر .  
سأله أهل بلده

— لماذا تركت الرجل ، وقد وافق نجمك نجمه ،  
وهو لا يغضب منك ، وذهابك يا مولانا يضر ببلدك ؟ !  
أجابهم الشيخ

— فى اليقظة كانت المسائل تبدو واضحة  
بكل أطرافها تجمع فيها وتطرح ، كنت أدبر كل  
مسألة بعناية الله حسب ما يلزم ، واحتياط

---

(\*) بدمه .

وأحترس • واليوم تتخفى المنسائل فى ضباب  
الهوى والأحلام وحراب النزوات • اليوم يريد  
أن يدخل بى تلافيف مخه وفيضانات دمه ، وهو  
خطر عظيم وخيم العاقبة • الفرار الفرار يا قومي  
من تاويل رؤياه •

### ( ٣١ )

كان أحدهم فى مجلس جحا ، فخرج منه صوت ،  
فجبل وأخذ يضرب خشب الأرض برجله ، أملا  
فى إخفاء صوته • فقال له جحا  
- ان أنت أخفيت الصوت ، فما أنت فاعل  
بالرائحة ؟

### ( ٣٢ )

سئل جحا عن دواء للعين المريضة •  
فقتل  
- أمس وجعيني ضريرى ، فلم أجد وسيلة إلا قلعه •

### ( ٣٣ ج )

كلما ذهب جحا وتلميذه حماد الى قرية ، ولذا بجامعها  
وقال جحا للمصلين عارضا نفسه - الدنيا  
رمضان ، وأنتم في حاجة الى واعظ ينجد لكم  
الطريق الى الجنة • دنيا وآخرة • والقرآن المجيد  
مغسل وضامن جنة •

يردون

- أنت شرفتنا • والقرآن المجيد أنت زدتنا شرفا •  
سبقك اليها عالم • اتفضل •

فيخاطب جحا نفسه وهما منصرفان

- تافين في بق بعض • من عامهم هذه السورة ؟ !  
أوسع ذمة في الدنيا ، نكتة دين سيرك • شعرة  
معاوية ، فتلة معاوية ونازلة فيها تشميع •

- من هذه التي تشمع الفتلة يا مولانا ؟

- اللغة ، لغتنا يا حماد يا بني • هل تعرف  
« زدتنا شرفا » تعني ايه بالضبط ؟

- تعنى « ضحك على الدقون » بالضبط •

- وهل تعرف « بالضبط » تعنى ايه ؟

- تعنى « بالوويم » (\*) بالضبط

- عفارم • يعجبني فيك أنك بدأت تزن الأمور

بالوويم • والوويم يا حماد أقدم ميزان في الوجود •

---

(\*) بفتح الواو والياء أى بالتقريب والنظر •

وهو ميزان موازيننا ، وعمود شخصيتنا الفقري .  
من غيره لا نساوى كوز خره ، الويم المسكين طرد  
من كل أرض ، ولم يجد له مأوى الا أرضنا  
الوسية المضيفة .

— كلامك يا مولانا صحيح « مليون » فى المية .  
— « ألف » شكر يا ولدى ، و « ميه » مسا على  
المفهومية يا ابن « ستين » فى « سبعين » لو قيل  
لك يا حماد ان العلم يطالبك بالتحديد ، بدل هذه  
البعزقة فى الملايين والآلاف ، التى نحرر بها  
لغتنا الجعرة (\*) ، فما أنت قاتل ؟

— الويم العلمى .  
— باسم الله ما شاء الله . واذا زنقوا عليك ،  
وحفظوا معك ؟

— علم الويم .  
— عفارم . علم الويم يقطع بآنك جحا الثانى .  
أما « زدتنا شرفا » الرقيعة التى تقذفنا بها  
كل قرية ، فماذا يقول عنها علم الويم عندك ؟  
— « من غير مطرود »

— علمك أكل ذيل المعنى . والصحيح هو  
« من غير مطرود يا شرفنطح » .  
— ومن أين أتت هذه الشرفنطح يا مولانا ؟  
— من « شرفت » ، و « انطح » رأسك فى الحيط .

---

(\*) عالية الصوت ، ذات الافخاذ والاعجاز والذبول .

القالبان أخذا يتناطحان بفعل عوامل التعرية ،  
فطارت التاء الأخيرة والالف الأولى والتحمقا فى  
شرفنطح • الويم يا حماد ينتج فى اللغة كلمات  
شغل يد ، موش مكن •

ـ بقيت يا مولانا الشيخ شرفنطح ، خاتمة كل  
العروض ، والنقطة فى آخر الجملة ، وهى كلمة  
« اتفضل » الفاصلة ، بم تفسرها يا سيدنا ؟  
ـ أعطنا عرض أكتافك •

ـ الفضل والشرف اذن بتوع كله ؟  
ـ من أسماء الاضداد ، يعنى تشـتغل على  
الوشين ، للترحيب والطرء • والأخيرة هى الأشيع  
والأجرى على الألسنة • وهذه يا حماد يا خويا هى  
الكوسة اللغوية •

ـ وكيف يميز العقل هذه من تاك ؟ هل يضرب  
لهما الودع ؟ !

ـ تأمل القناع الذى يلبسه الوش •  
ـ ان كان قناع الضحك ، يبقى ترحيب •  
ـ لا يا خائب ، أهو ده بتاع الطرد •  
ـ يا خفى اللطاف ، القناع هو الآخر يلبس قناعا ؟ !  
ـ تمام • ابتدأت تأكل اللبن •  
ـ الحالة اذن فتستعصية يا سيدنا ؟ •

ـ وديسل الكلب ما يتعدل ، ولو غلقوا عليه  
ستميت قالب • اللغة يا ولدى يصنعها الناس وتصنعهم ،  
وتيجى تصيده يصيدك يا حماد •

## ( ٣٤ )

وقريية تشيلهما وقريية تحطهما ، والحمار من  
تحتهما ليس أحسن منهما حالا ، حتى وصلا الى  
ساحة قريية ، أهلها مجتمعون حول ثعلب  
أمسكوا به حيا ، سال جحا

— كلكم على هذا المفوض ! مفيش رحمة ؟ !  
— وهو كان عنده رحمة ، لما قعد يتسلنى على  
فراخنا لغاية ما شطب عليها ؟ !  
— وماذا تريدون منه ؟

— الانتقام .

— من النوع الطويل أم القصير ؟

— الطويل طبعاً .

— اذن اتركوه لى . أنا له .

ونظروا الى جحا . . رجل بفراء ، وعمامة بحجم  
القبعة ، وله غلام . قالوا فى عقل بالهم : « هلبت  
أعلم منا » .

وأفسحوا له . قال جحا

— يا حماد ، أمسك على أبا الحصين (\*)

وشرع يخلع فرائه وجبته . ربط الجبة فى وسط  
الثعلب بأحكام . وبأحكام لف الفراء حول

---

(\*) كنية الثعلب .

رَقِبة الثعلب • ثم أمسك به من حماد •  
وأطلقه وهو يخاطبه

— اذهب فأنت حر —

وانطلق الثعلب ، وأعين القرية من خلفه تقدح  
الشر • وانداروا الى جحاً والغيط يحرقهم وهم  
يقولون ؟

— حر !!

— اطمئنوا • حرية الموت • عزرائيل منذ الآن  
مخاوي • والموت البطيء فى انتظاره • سيقطله  
سيدكم وسيد من خلفكم ، الجوع الكافر • منذ  
أن تهنأ بهذه الملابس ، والمقلب الذى أخذ  
مغرى ، منه والقبر • الملابس ستقطع رزقه • لن  
يؤويه انسان واحد ، أو يطعمه ، أو يحن عليه ،  
اسألونى أنا المجرب •

## ( ٣٥ )

جحاً وقد أرفف حماداً خلفه ، يكلم نفسه  
— الآن أبو الحصين أكل الفراخ ، وتحلى بالجبة ،  
ونفش بالفرو • أبو الحصين تركنى من غير عدة  
الشغل • واعظ من غير جبة • فلاح من غير فاس •  
ماذا يفعل ؟

— أنت يا مولانا الذى أعطيت وأطلقت •



- حينما يكون المرء يا حماد مفلسا ، تتجه  
حركته كلها الى الخارج ، وكأنما يملك العالم • يهون  
كل شيء ، ويقلب راحته كما تقلب الانساء الفارغ  
حتى لا يقع فيه شيء • وحينما يملك المرء يا حماد ،  
تقلب سحنته ، وتقلب الحركة كلها الى الداخل •  
يصبح لكل شيء قيمة وسعر ، ويعدل راحته  
للاخذ • يصبح الطريق اليه فى اتجاه واحد •  
- هل معنى ذلك أن من يملك يدخل العالم الى  
نفسه ، ومن لا يملك يخرج الى العالم ؟  
- تمام •

- ولكن أيهما أفضل ؟  
- المرتاح يحلم بأن يخرج ، والشقيان يحلم  
بأن يدخل •  
- والعالم داخل خارج • لا يون (\*) •  
- والا فقدت الأرض توازنها ، ووقعت •  
- وعلى أى شيء تقع ؟  
- على الأرض •  
- ويصلان الى سوق الحسبة • ينزلان عن الحمار •  
- يا حماد • عند أول تاجنر مائيفاتورة خود •  
- وماذا تفعل يا سيدنا وباطك والنجم ؟  
- شغل مكنة عقلك •

---

(\*) من ونى ينى أى لىسر •

بيخلان متجرا • والى قطعة جوخ يتجه • يتحسس  
القماش ويذوقه •

— ماذا جرى يا سيدنا • أنت حتاكل ، والإحتابس ؟  
— آكل لالبس •

يبقى حتاكل بعقل التاجر جبه •  
— عفارم •

ساوم البائع • أخرج المحفظة الضخمة الفارغة •  
يتظاهر بإخراج المبلغ • والبائع يطوى القماش •  
ولكن جحا يتلمس سرواله وهو يقول للبائع  
طاويا محفظة •

— كنت أنوى أخذ سروال ، ولكنى عدلت • أعطنى  
بدله جبة ، وبالثمن نفسه • وناوله جبة • أخذها  
جحا وسار • ناداه التاجر

— يا سيدنا الشيخ ، فضيلتك لم تدفع ثمن الجبة •

— عجيبة • ألم أترك لك السروال بدلها ؟ !

— يا سيدنا ، انت لم تعطنى ثمن السروال !

— يا سبحان الله ، وهل أخذته حتى أدفع ثمنه ؟ !

ايقاع صاجات بائع العرقسوس مقبل ، وصوته  
— اشرب خمير •

( ٣٦ )

جحا ومعه حماد عائدان ليلا • حينما  
اقتربا من دار جحا ، رأيا لصوصا مسلحين يعبثون  
بقفل الباب •

في صمت أوقف الحمار • وفي حذر انزوى به جانبا •  
سأل حماد في همس  
- ماذا يفعل هؤلاء يا سيدنا ؟  
- هس ، انهم يعزفون على الربابة •  
- ولماذا لا يخرج لهم صوت ؟  
- غدا يخرج ، ويملا الدنيا •

( ٣٧ )

الفيل مقبل على القرية ، وفياله فوقه متكئ  
على رمحه ، وسنه مائلة الى الامام ومشرعة •  
الأطفال نبض القرية ، يشكلون فيما بينهم  
بالطبيعة وبالغريزة ، كالغرود الرملية المتحركة ، رمحا  
آخر رأسه الى الفيل والفيال ، وهم يصيحون  
صيحات استعراض الذبيحة • رأس الرمح منهم

- بالعين

فيرد الرمح

- يا لله السلامة

والرجال فى صفين ، والنساء كل امرأة على بابها • الرجال والنساء صامتون يتفرجون • صوت رجالي

– الا نفرح ، والا نحزن ؟

صوت نسائي

– الا نزعرت ، والا نصوت ؟

وبغزيرة القرية التى تجنح بها دائما السى  
بر الأمان ، لاذ أهل اليمين بالفرح • وأهل  
الشمال بالغضب •

العمدة مهروول ، وعلى مسافة يقدم التحية منحنيا  
للفيل • ثم يواجه الناس قائلا :  
– أنتم طبعا تعرفون مولانا تيمور لك ؟

الكل : وفيه حد ما يعرفش نعوذ بالله الأعرجن ؟  
– مولانا تيمور لك اختص بلدنا بهذا الفيل  
العظيم •

اليمين : شرف كبير ما احناش مده •

الشمال : فاقد الشئ لا يعطيه •

– يكون فى علمكم أن الفيل ضيف على البلد •  
اياكم أن تزعلوه ، أو تقفوا له فى سكة •  
اليمين : حنسكنه فى نين العين •  
الشمال : حنحش ونلقمه •  
– لاه ، داهو الى يختار أكله •

- اليمين : شبيبك لبيبك •
- الشمال : يا داهيه دقى •
- هل تعرفون الاساءة الى الفيل تعنى ايه ؟
- الكل : حيروح يقول له •
- حرق البلد كله ، العطل بالباطل • واللى ياكل
- على ضرسه ينفع نفسه •
- اليمين : أمسك لسانك • قال الله ولا فالك •
- الشمال : دى الحيطه لها ودان •
- الكل : والفيل لسانه بيضرب باللاوندى والمغولسى •

( ٣٨ )

سألوا جحا

- الشمس أفيد أم القمر ؟
- الشمس لا تفيد بالليل ، ولكن القمر حينما يطلع
- ينور الدنيا • القمر أعظم •

( ٣٩ )

سألوا جحا

- أنت الأكبر أم أخوك ؟

– ٦١ –

ـ قالت لى أمى فى العام الماضى : أخوك أكبر  
منك بسنة واحدة • وعلى هذا الحساب نكون فى  
هذا العام فى عمر واحد •

### ( ٤٠ )

صوت المنشار ، يدخل عليه صوت غليظ ،  
يعترضه مزمار رفيع ووراءه صوت المنشار الصغير  
من فوق •

ـ مولانا نعوذ بالله ، فاكربان الفيل اللى  
باعته ، تكريم منه للناس • فاهم بان الفيل فضل  
وعدل • والناس موش حاسة بالمصيبة •

المزمار الغليظ ، وفى أعقابيه صوت المنشار الكبير

ـ خيبة بالويبة ، الاثنين غفلانين ، السلطان عن  
واجبيه ، والناس عن حقوقها • والاثنين بيحبوا  
فى جيب السلطان • والدنيا مابتطلش مشى • الناس  
همه الشجرة اللى نايمة فوق ، والسلطان والمنشار  
نازلين حش •

ـ أنا حلمت يا معلمى • بان احنا خطينا فوق  
الخمير دهى ، هيلا بيلا ، شجرة حية بتتلعب •  
ـ نعوذ بالله •

## ( ٤١ )

يقصرع الباب ، يفتح جحا ، يجد جارا له  
- يا فضيلة الشيخ نصر الدين ، سلفنى حمسارك  
أردم عليه مزبلتين ، وأرجعه لك معززا مكرما .  
- ماكانش يتعز . الحمار فى السوق .  
ولا يكاد يتم عبارته ، حتى يتعالى النهيق  
من الداخل .  
- يا شيخ ، اتق الله ، الحمار بالداخل ، وتقول  
فى السوق ؟ آ  
- يا عالم مزابل . موش عيب تصدق الحمار ،  
وتكذب اللحية الشايبة دي ؟ !  
عالم لبط . (\*)

ويصفق الباب فى وجهه .

## ( ٤٢ )

جارثان يقصرع الباب \* يفتح نجحا .  
- نصف ساعة زمن ، أذهب الى البندر وأعود .  
مسافة السكة .

---

(\*) بفتح اللام والباء أى متمرغ فى الأرضي نبلطة .

- مع السلامة والقلب داعى لك •
- فقط أعزنى خمارك ، أذهب به •
- طيب لحظة ، جتى آخذ رأى الحمار •

يدخل ويعود •

- الحمار يا حضرة رفض تماما • عسلج • وأوصانى  
حضرتك أن أبلغك أنك ستضربه ضربا مبرحا ، وتشتمه  
هو وصاحبه •

ويصفق الباب •

( ٤٣ )

الباب يقرع ثالثة • يفتح جحا •

هل أطمع فى أن تعيرنى خبلا أنشر عليه الغسيل ؟

جحا يدخل ويعود ، ليقول

- الحبل مشغول الى شوشة • منشور عليه دقيق •

- دقيق ؟ وهل ينشر الدقيق على الحبل ؟ ا

- سبحان الله يا أخى • اذا كان الحبل حبلنا ،

والدقيق دقيقنا ، ما شأنك أنت ؟ ا

ويصفق الباب بخارجا •



( ٤٤ )

ويلقى في طريقه سائحاً ينظر الى مذنبة  
طويلة تضرب في السماء فوقه اليه • سالة السائح  
- ما هذا ؟

- بئر •

- عفوك •

- بئر •

- وكيف تكون البئر على وجه الأرض مرتفعة ؟

- لقد نظفوها وقلبوها • • جعلوا باطنها  
ظاهرها حتى تجف وتتهوى •

( ٤٥ )

ويمر على مجموعة من الاطفال متنازعين • وحينما  
راوه ، قاموا اليه مسرعين • •

- يا سيدنا ، السماء أرسلتك الينا • أوشكنا  
أن نزل في بعضنا طحنا • نريد أن نقسم هذا  
الجوز • قسمة أنت بيلنا •

- حاضر يا اولادى • هل أقسمة لكم قسمة  
العبد ، أم قسمة الرب ؟  
- قسمة الرب طبعاً •

وغرقت غرقاً أعظماً واحداً • ثم تناول  
ثلاث حبات : أعطانا ثانياً • ثم غرقتين لثالث •  
وترك الباقي بلا شيء • وتامل هؤلاء ساخطين •  
قالوا :

— وهل هذه قسمة ؟  
— ألم تطلبوا أنتم بغضمة لسانكم ؟ هذه  
قسمة الرب • انظروا يا أولادى الى والد عبد العزيز  
كيف أعطاه الله حتى صعد الى السماء السابعة •  
ثم انظروا الى والد كسبر وجعلو كيف خسف الله  
به الارض • ومئات أمثلة يموتون كل يوم من  
الجوع • هذه هي قسمة الرب يا أبنائى • لا تعترضوا

يرتفع فى الفضاء صوت نكران • يردد الأطفال  
فى أعقابهم :  
— لك لك يا صاحب الملك •

## ٤٦٥

القرية فى مؤتمر صاخب ساخط متوتر •  
— هس سكوت سماع •  
— الفيل ما هو بيش يمة أرض العمدة •  
— الدنيا مصالح  
— ولا يمدح السوق الأكل من ربح •

- يهوب (١) ؟! ودى تيجى ؟!
- دا ابن أصول !
- عينه كلها نظرا !
- وهل معقول يخرج صاحبه ؟ !
- دا ضيف العمدة !
- عيب ما يمنحش •
- هو لا سمح الله زينا تربية شوارع ؟ !
- دا فيل متربى ،
- على أغلى ما نملك •
- كل الفلاحين تمليه (٢) فى أطيان سيدنا الشيخ  
الفيل •
- لا احنا قادرين نقعده مبجل ومحترم ،
- ونحش وندى له •
- ولا احنا قادرين نسيية يمسخ زى المحرات ،
- زى الطاعون •
- داتوطاعون ،
- يشيله ويهبده فى الأرض ،
- ولا احنا قادرين نفتظر لغاية المجاعة  
ما تخطط على باب دارنا •
- فره (٣) ما تخلق منهم ولا واحد •

- 
- (١) لم يتجه أو يقترب والهبوب هو وهج النار الذى يجنب •
  - (٢) الاجزاء المستديمون والفلة من عمال التراهيل •
  - (٢) وباء يصيب الجاج •

- كغيره (٣)
- نعمل وفديقابل الأعرج •
- وهل يسمحوا لنا بالدخول ؟
- ولو سمحوا ، هل حنلقى الكلام الموزون ؟
- ولولقينا ، هل حينسمعه ؟
- كل السكك مسدودة ،
- مسنكره ،
- بالضبة والمفتاح •
- الاسكة جحا ،
- يا لله بينا على جحا ،
- نهاية نهيق يقول
- حاحا حاحا •

### ( ٤٧ )

- ضاع حمار جحا ، فخرج يبحث عنه مناديا
- حمار تائه يا أولاد الحلال • حمار تاييه • ولله
- الحمد والشكر والثناء •
- ولماذا تشكر الله يا جحا ؟
- لأننى لم أكن فوق الحمار •

(٣) كوليرا •

( ٤٨ )

خرج جحا يمالأ جرة من النهر ، فسقطت من  
يده ، فجلس على الضفة ينظر الى مكان سقوطها •  
راه أحدهم ، فسأله

— ماذا تفعل يا شيخنا ، والى أى شىء تنظر ؟  
— الجرة غاصت منى فى الماء ، وأنا فى  
انتظارها ، حتى أقبض عليها من فمها ، وأملص أذنيها •

( ٤٩ )

كماشة ابن جحا المحب العلالى ، كالديبك  
والجدى ، جالس على هدية (\*) ساقية بمدارها العالى •  
وأمامه حماد تلميذ جحا ، مسند ظهره الى  
الشجرة التى تظلل مدار الساقية •  
كماشة كالمحدث نفسه

— كل يوم عمال بيقل ، بينقرض ، وفيين على  
ما يرجع • الولادة مش زى الموت •  
— واياه هو ده اللى انت عامل عليه مناحه ؟

---

(\*) بضم الهاء وسكون الدال ، وهى مثلثة الشكل يجلس  
عليها الصبى خلف الثور وهو ينسوقه •

– الغطا الأخضر عمال بينكمش ، الخضرة ، اللون  
الأخضر • الأفيال شرهة ، نازلة حرت ، مسح  
وتبليط • المجاعة على الأبواب • احنا ليه  
نسكت ، والموت واحد •• اما على سيف الأعرج  
أو المجاعة • على الأقل الأولى أشرف • لماذا نسكت ؟ !  
– وعاوز تعمل ايه ؟

– لماذا لا تقوم كل قرية بذبح الفيل الذى  
لديها وفياله والعمدة المتواطىء ، وهو أمر سهل  
سهل للغاية ؟

– وغاية سهولته دى هى الدمار والموت والقبر •  
لا أخضر ولا يابس • لن يبقى صريخ ابن يومين •  
رماد حريق أعظم •

– وليه يا شملول ؟

– الصعوبة العظمى فى التوقيت ، أن يحدث هذا  
فى توقيت واخذ لا يخل • وده محتاج الى  
تنظيم يربط القرى بحبل متين ، والحبل ده محتاج  
الى وقت ، هو بالضبط الوقت الذى الأفيال تحتاجه  
للقضاء على الخضرة •

– الدبح عاوز توقيت ، والتوقيت عاوز وقت ،  
والوقت عاوز دبح •

– ساقية جحا •

– جحا ؟ آه لو علم الناس ، كانوا دبحوه  
وشربوا من دمه •

– ده أبوك يا كماشة •

- كل مجرم لازم ياخذ جزاؤه •
- الفرقان يا كماشة يطبق فى رقبة منقذه •
- حتى ولو كان المنقذ بلاده كلها ؟
- الفرقان ما يشوفش مين اللي بينقذه • الفرائز  
عميا ، لا ترى أبدا الانفسها •
- الناس فى كل القرى فى حالة جنون ، ولكنه  
جنون اقليمي مجزا • لو يجتمع ...
- بعد المذبحة مباشرة أنت فى حاجة الى جيش  
رسمى وأهلى • والا حنناكل اونطة •
- كلنا بما نملك ثمن الأفيال ، والدفع قورى •  
الفيل الواحد ثمنه قرية بحالها ومالهها  
وناسها النقاش المجنون حينخط اللون الاحمر ، اللي  
يقش (١) ويبلغ كل الألوان ، الاعرج المجنون حيولع فى  
البلاد النار الحمرا •
- عرقها نجحا ، والنار هى القشة للغريق ،  
والتيران هى اللي تخاف من الأحمر •
- لاه ، القشة موش النار ، القشة هى  
جحا المنقذ • البلد كلها متجهة اليه •
- جحا أبى وأنا عارفة ، ونجحا مشقول  
بنفسيه وبالدور الصيغير اللي بيؤديه • • يعري

---

(١) يجمع وياكل من هنا ومن هنا •

الناس ، ويلقط عيشة • جحا من شوشته  
لضوافر رجلية قطاع خاص (٢) • جحا مثقف عنده  
زيادة الوعي بالنفس ، ورم الأنا ، وكل ما أخشاه ،  
أن يذهب جحا ليكملها فيعميها •  
- أنت متحامل •  
- أخشى أن يكملها ليعميها •

( ٥٠ )

اتجهوا الى الجامع • سمعوا صوته يؤذن •  
دخلوا • رأوه ينزل من المئذنة مندفعاً كالسهم يقفز  
الى الشاع كالصاروخ • ثم يعود لاهثا •

قالوا له

- كف عن هذا الهذر •  
- أريد أن أرى الى أين يصل صوتي ؟  
- الأفيال تاكل الأخضر •  
- صوتي سبقني ؟  
- المجاعة يا جحا •

~~~~~

(٢) لا ندري كيف درست هذه الكلمة الى كلموت ( صندوق  
كلام ) جحا وابله ، ولا كيف سبحت ضد تيار الزمن حتى  
وصلت الى جحا •



- الصوت سلاح العرب البائر •
- يا سيدنا ، يا فضيلة الشيخ نصر الدين
- ان كان لك عند الكلب حاجة ، قل له يا سيدنا •
- اذهب بنا الى الاعرج •
- ضمننا اللقمة الساخنة • بركة يا جامع (١)
- على رأس وفد منا اليه • أنت الوحييد
- الى تسلك معاه •
- وفيله يوصلنا •
- خلاصنا بين يديك يا مولانا •
- نهيق طويل النفس •

## ( ٥١ )

قالت اليمامة المتفهمة لأختها علي الصفصافة  
المفضلة •

جحا أتسى بالفيل من أجل خلاصه هو ، ويطلبون  
منه اليوم أن يذهب بالفيل من أجل خلاصهم هم ؟ !  
- المعادلة الصعبة نفسها • يا خي دودة (٢) !

- 
- (١) بقية المثل « اللي جت منك ، ولا جتش مني » •  
(٢) حينما تفك مسامير هذه الكلمة ، تنسبط الى : « ده ايه ده » •

— لا أبدا ، القضية هي : « هو » منقوعهم  
وخلصتهم ، أم « هم » السواد والدماء ؟!

ثم « هي » : تكون أو لا تكون ؟! وهي أسهل  
المعادلات طرا .

— تكون طبعاً ، والافسد الكون .

— الجماعة من أجل الفرد المختار ، الانتحار  
الجماعى فى السنوات الكبيسة ، عندما تظهر  
بقع فردية وغشاوات فى نى عين شمس المجتمع .  
— الانتحار الجماعى الذى لا يحدث الا فى  
الكائنات الدنيا الفاشية . وهل ثمة أدنى من  
هذه كائنات !

— آى نعم . سلم لسانك .

## ٥٢

ليلتها ، ليلة التوكيل ، قام ، وفى الحالم  
جاءه منكر ونكير ملكا الموت . وعند اقدامه القى  
نكير المرزبة وهو يتهم .

— ويأتىك النوم يا شيخ خرتيت ؟ آ هي .  
قم . فز . فز قم قامت قيامتك .

جحا : أفهم أن الموت لم يحن بعد يا أفندينا  
منكر : صحيح الأوان لم يؤن .

جحا : ومتى يثون ؟  
منكر : حين يثون •  
جحا : معناه أن هذه الزيارة من بند زائر  
الفجر ، وأن الحساب والتحقيقات غير مشروعة ،  
غير قانونية •  
منكر : هل تقصد أننا قادمان من عند ملاك  
آخر غير عزرائيل ؟  
جحا : من عند أنفسكم مثلا • للنزهة وتزجية  
الوقت •  
منكر : طيب ، وهذه المرزبة التي لا تخرج الا في  
مهمة رسمية ميتافيزيقية ، وبجمهرة من الامضاءات ؟  
نكير : أو تحب أن تذوق الطعم حتى تطمئن ؟  
جحا : صدقت وآمنت واطمأنتت • ولكن الحساب  
لا يكون الا بعد الموت • وأنا لم أمت بعد ، هل  
هي اذن مجرد بل ريق وهرش عدة ؟  
منكر : اعتبرها الهرشة الأخيرة •  
جحا : أما أنا فلن أفوه بكلمة الا بحضور  
الفقيه المحامي آذن •  
نكير وهو يزحزح المرزبة بقدمه ومشيرا اليها  
- هوذا محاميك يا شملول • ستجعل لسانك  
مطروحة (١) • اطمئن •  
جحا : وماذا تريدان من العبد الفقير الذي لا يطلب  
من الله الا الستر ؟

---

(١) التي تبطل عليها الخبازة الرغيف •

فكير : ستر وأنت لا تعيش إلا على كشف كل ستر ؟  
ويمسك بعنق المرزبة .  
جحا : أنا بالفعل أكشف كل ستر ، ولكن ليضبط  
كل انسان نفسه عاريا متلبسا ، فيخجل من  
نفسه ، ويقلع عن فعل العيب .  
منكر : ولماذا لم تضبط نفسك وأنت تخرب  
بيوت كل الفلاحين في بلدك ، ومن أجل انقاذ  
نفسك ؟ !

جحا : أصل الروح خلوه يا منكر بك ؟  
منكر : روح في كفة ، وآلاف الارواح في كفة ؟ !  
فكير : يا جحا . قم . فز . قم .  
منكر : يا جحا . ماذا فعلت بالفلاحين في بادك ؟  
جحا : الروح خلوة .  
منكر : الله خصك أنت وحدك بين هؤلاء القوم ،  
وأمام الشرير الأعرج بنعمة العقل ، هل هي لك  
وحده ، أم لصالح الجميع ؟  
جحا : العقل قطاع خاص .  
منكر : ان كان هو السلعة الوحيدة في السوق ،  
ان كان هو الليمونة الوحيدة في بلد قرفان تؤمم (٢)  
الليمونة .  
جحا : هل أنا في محنة ؟

(٢) من الكلمات التي هربت ( بضم الهاء ) عن عكس اتجاه  
الزمن من عصر لاحق الى عصر سابق .

منكر : تهمك النتيجة ، وبأية وسيلة .  
جحا : يا منكر باشا ، لقد شغلت عقلى فقط من أجل  
فكرة النجاة ، وليس من أجل جوع الفلاحين .  
منكر : يا نكير . تول أنت مقاهات هذا الكلام  
والكلموت .

نكير ( وهو يرفع المرزبة ) : حينما تذوق مقاهة  
واحدة من مقاهات هذه المرزبة ، وتبططك ، تقلع  
تماما عن مقاهات التبشير وتحرم ... ودنك منين  
يا جحا . وساقية جحا . ومسمار جحا وخد  
يا جحا .

وينزل بالمرزبة . وحينما يصبح ما بينها  
وبين جحا شعرة ، يستيقظ صارخا بالقلوب :  
« دستوركم يا فلاحين » .

من بعيد ايقاع صاجات بائع العرقسوس  
يتلاشى ، وصوته يرتفع وهو يجر  
- اشرب - .

( ٥٣ )

بعد منتصف الليل : خرج جحا يدور فى  
الشوارع باحثا منقبيا . صاففه خفير . إلبرك .  
سأله :

- انت بتدور على ايه فى نص الليل ؟
- على النوم .
- النوم ؟
- أصل النوم هرب من عينى .

( ٥٤ )

صحب جحاً وفد القرية ، وتوجه بهم  
لمقابلة تيمور . وحينما مثل بين يديه . قال له  
- لقد انتدبنى هؤلاء القوم عنهم يا مولاي ، لتقديم  
واجب الشكر على احسانكم العميم ، باختصاص  
قريتنا الضعيفة ، وتكريمها بفيل من أفيال  
عظمتكم . وهذا شرف عظيم لم تحلم به قريتنا  
قط . ولكن الفيل العزيز ..  
- من يعكر مزاج الفيل ، يحرق مع بيته  
وأسرته وقريته كلها .  
- يا مولانا المعظم « نعوذ بالله » ، البلد كله  
يتعارك من أجل العناية بالفيل والحفاوة .  
ولكن الفلاحين لاحظوا أن الفيل غير مبسوط  
تماما . وربما أتنى من الاحساس بالغربة والوحشة  
والوحدة ، ربما يكون الفيل فى حاجة الى ونس ،  
الى أنثى تسليه . من أجل هذا أتينا نسترحم

صدور أمركم الكريم ، بإرسال أنثى له ،  
وبذلك يزداد تشريفكم لنا ، وتزداد دعوأتنا لصدتكم  
الملوكية •

سر الملك ، وأنعم على جحا بالخلع والهدايسا ،  
وأمره أن يبلغ القرويين انعامه عليهم بالتحيات  
الملوكية ، وأصدر أمره بإرسال فيلة الى القرية •

( ٥٥ )

ظلام دامس : • صوت يشق الظلام

جحا • جحا • ناولني وحياتك الشمعة التي الى  
يمينك •

— أنت مجنون وكيف أعرف يميني من شمالي  
في هذا الظلام الدامس ؟ !

( ٥٦ )

البيوت لفظت كل محتوياتها الآدمية الى الشارع  
الملقوى الذى يقسم البلد ، بلا تنظيم تلقسائي  
أو مرسوم ، وبلا أدنى شبح أو ظل صوت •

ويصل الركب ، فيوسعون له الى الجانبين ،  
يملأهم الصمت ويفرغهم •

• تسرقهم السكين •

في المقدمة الفيلة والفيل ، وطرفا خرطوميهما  
يتواصلان • فوقهما جنديا المدرعات (\*) في  
كامل العدة والعقاد •

ثم العمدة وجحا والأعيان من التجار وأصحاب  
الأطيان ، وكوكبة الخفراء بنمرهم النحاسية تلمع  
فوق سواد الطرابيش ، كعيون أحادية أسطوانية •

والثغور جميعا مفطرة عن بسمات ، حمراء •  
وصفراء • ومجهضة • وعن شيء هائل كظيم •  
ترمي الابرة ترن •

وخلف موكب هذا الزفاف ، وفي صمت مطبق  
يتحرك من الجانبين كل من انحسر عنه الموكب في  
طابورين من الجانبين ينجمجان • ومشهد العرس

---

(\*) الكلمة ليست من المهرجات عكس اتجاه الزمن ، لأنها  
من « تدرع وادرع » أي لبس الدرع ، وقيل الامس كدبابة اليوم ،  
كلاهما خير الدروع الوقائية المهاجمة •



الجناثزى يطول بما ينضم اليه ، حتى يصل  
الجمع كله - دون أن يتخلف حي - الى الحقول .

وعند أول حدود الخضرة المقروطة يتوقف المشهد .  
ينزل الجنديان ، يسمح كل على خرطوم فيله ، ومن  
لحن كتفه .

وفوق كفه يربت في صوت يرن في جبل  
الصمت المطبق . الصوت اليتيم .

وينطلق الفيلان الى مهمتهما الازلية ، التي يشحنها  
اللقاء ويشحذها ... أن يحسوا عن الأرض وجهها  
الأخضر .

واندار الجنديان . وخلفهما اندار العدة وجحشا  
وكل الأعيان والتجار والخفراء .

في عين هذه اللوحة ، تتقابل في ومضة حاسمة ،

أربع عيون ، وفي نقطة صدام . كالرعد حطم  
خسود الصمت المفطن .

عيتبا كماشبة يعينى أبية ججا ، وانذليج  
داخل قبتيهما يبرق .

وللمشهد العائد انفرجت الجموع • وفى أعقابهم  
اندارت القرية ، بعد أن وسدت الميت الأخضر بطون  
الأفيال القبور •

وكلما مر واحد ببيته ، انزلق اليه • وفى  
صمت القبر ينغلق عليه • الى أن وثدت الحركة كلها •  
وابتلع القرية جبل الصمت العظيم •

## ( ٥٧ )

جحا مكثف • ملقى على الأرض • المعلم النشاز  
يشد على ظهره الخيط ، يمد علامات النشر • جحا  
يسرود فى انزعاج شديد •  
— كفوا عن هذا الهذر •

القابع يقلبه ، المعلم يشد الخيط على بطنه  
وصدره ويعلم خطوط النشر • صوت جحا يتوتر

ت الهذر لا يصل الى هذا الحد •  
يرفعانه فوق الحمير الخشبية مكان الجذع • يثبتانه •  
النشاز أمامه مسلط • يتخذان وضع العمل •  
يتحرك النشاز بين أيديهما • يزعم جحا فى دعر •  
— قفا • تمهلا • ما دمتم تعاملوننى معاملة

الشجرة ، فمن حقى أن أطالب بكل حقوق الشجرة •  
لكل شيء أصول مرعية ، وأصول الموت أوجب ،  
والا زرتكم فى نومكم • روحى ستأتىكم فى الكوابيس  
حتى الموت •

يتوقف المنشار ، ويميل اليه كأنما ينصت الى  
ما سوف يقول

- الشجرة تقطع ، ثم تترك فى الشمس  
أياماً وشهوراً ، الى أن تجف • الشجرة لا تنشر  
أبداً وهى خضراء • هذا التكتيف مقابل القطع  
للشجرة • قبل أن تنشرونى ، اركنوني فى الشمس  
بضعة أشهر حتى أجف • هذه هى الأصول يا أبناء  
الأصول لا تخلوا بأصول الصنعة وأنتم الاسطوات •  
عيب تغلطوا الغلطة دى • المنشار ، ما يبقاش  
جزار • هى زيطه ؟ يا لله ايندك فى ايده ونزلونى •

قوم قز انت وهوه ، نزلونى فى الشمس •  
وبطلوا شغل طالصقة (✱) •

---

(\*) وفى لغة طصلقة ، واجراء تقنلات الخروفت شائع  
فى العربية . . .

( ٥٨ )

أنت الوفود جحا

— يا شيخ نصر ، يا صديقنا ، ويا أيها العدو  
المبين أنت اليوم كالفيل تماما • حماية • يدنا لا  
تطولك • وكما أوقعتنا انتشلنا •

— يا أعزائي الأقربين ، انه قدر مكتوب في  
أم الكتاب ، محفوظ في اللوح المحفوظ •

— خلصنا أحسن لك

— نحن يا أعزائي في عام الفيل •

— الفيل ، النيل • ما العمل ؟

— ليس أمامنا إلا صلاة استسقاء من نوع  
خاص ، اسميها « صلاة السجيل » •

— وما صلاتك هذه أيها الشيخ ؟ أهي إحدى  
الأغنيك ونوادرك ؟ !

— أن يبعث الله جل وعلا ، سحبا من طير  
أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، لتجعلهم  
كعصف مأكول •

— أهذا كل ما عندك ؟

— أن نصور جميعا ، وعند القروب نخشع

بصيامنا ودعائنا ، على سفح الجبل المخضب  
بدماء الضحايا في صلاة موصولة الى السماء •

وصلاتك هذه لك أم علينا ؟

- الصلاة لا تكون الا على الظالم يا احبائي الظلمة •  
قوموا واجتشدوا لليوم المشهود •
- سندعوا على الظالم في صلاتنا •
- وعليه سترددون ورائي من فوق الجبل •

( ٥٩ )

طرق الباب • دخل جاره • جلس • قال  
- أنت تعلم ما وقع من الالف الى الياء ، ألسنت  
محققا في هذه الدعوى ؟  
- نعم أنت محقق يا أخي •

وخرج • وفي أعقابك طرق الباب خصمه ، دخل •  
قال :

- أنت تعلم ما وقع من الياء الى الالف • ألسنت  
محققا في هذه الدعوى ؟

– نعم أنت محق يا أخى •

واتفق أن امرأته سمعت الموقفين ، فقصدت أن تخرجه • قالت :

– منذ لحظة حضر جارنا ، فقلت له أنت محق ، والآن جاء خصمه ، فقلت له أنت محق • فكيف يكون المدعى والمدعى عليه محقين فى دعوى واحدة ؟ !

– وأنت يا عزيزتى محقة أيضا •

– وأنت يا عزيزى ، هل أنت محق ؟

– أنا وزارة الحقانية ذاتها •

– وعائلة الفيل ؟

– ايه ؟

– الفيل وانشاء ؟

– ..... •

– لا أسنكت الله لك حسا يا سحبان •

( ٦٠ )

قالت اليمامة لأختها على فرع الصفصافة الذى  
لم يغيره زمانه .

— جالك كلامى ؟ هذا هو الانسان العظيم فى  
منحنى حضارى خطر .

— هو لها ، الوحيد الذى يأكل النبات والحيوان  
والجماد والنار والماء والهواء ونفسه وما يستجد  
معا . الوحيد فى هذا الكون الذى يتسلى بالصيد .

— والوحيد الوحيد الذى يحرم الابرة من أجل  
سيادة القانسون ، ويبلغ المحرة من أجل سيادة  
السيادة .

— سوف يبدأ من أول وجديد .

— ساقية جحا

— والبركة فى جيوش الفعلة التى تسد عين  
الشمس من الفلاحين النمل وعمال القراحيل والخدمة  
السايرة ، وعرقهم الأخضر .

( ٦١ )

رأس ضخـم يحجب الرؤية ، يتجه الى السماء •

نهيق مجلجل يرج الأرض والفضاء •

ينـذار

ضراط

مـطـف



## صدر حديثاً :

— المنطق الجدلى —

هنرى لوففر

ترجمة إبراهيم فتحى

— لوركا « مختارات جديدة » —

ترجمة أحمد حسان

— الفكر المعاصر — مختارات غير نورية \*

— أحلام رجال قصار العمر —

محمد البسيبائى

## **صدر حديثا فى سلسلة كراسات الفكر المعاصر :**

(٥) ازدهار وسقوط المسرح المصرى -  
فاروق عبد القادر

(٦) الحلم (شعر) -  
حسن عقل

**اقرأ فى العدد القادم من الكراسات :**

(٧) أزمة الفكر البرجوازى العربى -  
صلاح عيسى

## **يصدر قريباً :**

– أقوال جديدة « عن حرب البسوس »

**أمل دنقل**

– فترة التوافق ، ليلة السحابة – مسرحيتان

**تتيسي ويليامز**

**ترجمة وتقديم فاروق عبد القادر**

– الخروج من الظل

**فؤاد قاعود**

– سول بيللو وأزمة الرواية العصرية

**ابراهيم فتحى**



## يصدر قريباً :

— نقد العقل الوضعي  
« دراسة في الأسس المنهجية لفكر  
زكي نجيب محمود »  
عاطف احمد

— قاموس المصطلحات الأدبية  
اعداد : ابراهيم فتحي

— مدخل لتاريخ الفن التشكيلي المصري المعاصر  
محمد حسن سالم

## تطلب كتب الدار من المكتبات الآتية :

مكتبات الهيئة العامة للكتاب - مكتبة دار المعارف  
( عبد الخالق ثروت ) - مكتبة مذبولى - النهضة  
المصرية - النهضة العربية - الانجلو - دار حراء -  
العربي للنشر والتوزيع - مكتبة روز اليوسف - منهل  
الثقافة - دار الفكر العربى - مكتبة دار الثقافة  
الجديدة - عالم الكتب .









